الحُسبة

هي بالضم مصدر الأحسَب وهو على ما فسرهُ صاحب لسان العرب الذي ابيضّت جلدتهُ من داءٍ ففسدت شعَرتهُ فصار احمر وابيض . قال وقال الازهري عن الليث هو الابرص وفي الصحاح هو الذي في شعر رأسهِ شُقرة .. وقال شمِر هو الذي لا لون لهُ الذي يقال فيهِ أَحسَبُ كذا وأَحسَبُ كذا ... انتهى تحصيلاً وفي كل ذلك اضطرابٌ لا يخفى . والاظهر ان التفسير الصحيح هو الاول وان كان لا يخلو من ابهام لان قولهُ فصار احمر وابيض لا يظهر المراد منهُ على وجهٍ جليّ . ومهما يكن فمرادنا بهِ هنا الذي ابيضّ جلدهُ وشعرهُ لآفةٍ تعرض للمادّة الملوّنة فتقلّ من جسمهِ او تُفقَد بتمامها

والحُسبة على انواع فمنها ما يعمّ الجسد كلهُ فيتغير اللون بجملتهِ ومنها ما يخصّ مواضع منهُ دون مواضع فيكون بُقَعاً متفرقة او متصلة وفي كلتا الحالتين قد يكون البياض خالصاً وقد يكون الى السُمرة وكل ذلك تبعاً للمقدار الذي ينقص من المادّة الملوّنة . وهي لا تختصّ بجيلٍ من الناس بعينهِ خلافاً لما اشتهر زماناً وتحدث في جميع الاقاليم الا ان اكثر حدوثها في البلاد الافريقية بين الزنوج وتقلّ في اصحاب اللون النحاسيّ والاسمر وكلما كان الجيل اقرب الى البياض كان حدوثها فيهِ اقلّ . وهي قد تعرض لبعض انواع الحيوان واكثر ما تُرَى في الفئران والافيال والاراويّ والكلاب والارانب وربما حدثت في الطير كالشحارير والغربان والحمام وغيرها

وقد قدّمنا ان سببها نقص المادة الملونة من الجسم وهي مادّةٌ سمراء تسودّ اذا كثرت وتكاثفت ومنها يستفيد كلٌّ من الجلد والشعر والعينين اللون الخاصّ بهِ . وهي قد تُفقَد بعضها او كلها فاذا فُقدت بجملتها ولا يكون ذلك الا في الاحسب فُقد اللون من الجسم عامّةً فيكون الجلد امهق اي بلون الجصّ او بلون اللبن ويستحيل لون قُزَحية العين والبؤبؤ الى حمرةٍ وردية ويكون الشعر مع بياضهِ شفّافاً وبهذا يُفرَق عن لون المشيب . على ان فقد المادّة الملوّنة من الجلد لا اذى فيهِ ولكن فقدها من العينين يؤدّي الى اشتداد النور على العصب البصريّ الى حدٍّ لا يطيق احتمالهُ لان المادّة الملوّنة تمتصّ جانباً من النور عند نفوذهِ الى باطن العين ولذلك يحاول الاحسب تقليل مقدار النور الواصل اليهِ فيتخازر ويكثر من الطرف بعينيهِ ولا يستطيع ان يفتحهما الا في النور الضعيف

ثم ان شعر الاحسب اذا لم يبلغ حدّ البياض تلوّن بلونٍ يضرب الى الشقرة وحينئذٍ تتلون القُزَحية ايضاً فيكون لونها ازرق صافياً ومتى كان بهذه المنزلة فقد لا يُتنبَّه لهُ اذا وُجد بين البيض . وقد ذكر الدكتور كُورّ انهُ رأى في مدغسكر توأمين يبلغان من العمر نحواً من ثلاثين سنة وكان جلدهما تامّ البياض مورَّداً في الوجه والعنق بحيث كانا يماثلان اجيال الاقاليم الشمالية تمام المماثلة . وكانت شعورهما شقرآء تبنيّة والقُزَحية زرقآء الى الخضرة الا انها ذات لونٍ كَمِد وما يحيط منها بالبؤبؤ يضرب الى السمرة واما البؤبؤ فكان تامّ السواد وكان بصرهما حادًّا الا في النور الشديد غير انهما لم يكونا بعيدين كثيراً عن احتمال ضوء الشمس . وذكر غيرهُ انهُ رأى في كلدونيا

الجديدة احسب مولوداً من زنجيَّين تامَّي السواد وكان جلدهُ ابيض كالحاً قد توزعت فيهِ نُقَطٌ سمرآء مُشرَبةٌ صفرةً هي مجاميع من المادّة الملوّنة وشعرهُ في لون الكتان الاشقر وهو في شكل خُصَل من السحيل ادقّ من شعر سائر الناس وقزحيّة العين ذات زُرقةٍ جميلة مبطنة بسواد فكان يبصر بصراً صحيحاً لا يغلبهُ ضوء الشمس . قال ولا جرم ان مثل هذا لو وُلِد من أُسرةٍ بيضآء لم يُعَدّ احسب ولو كان جلدهُ منقطاً بالسواد لان هذا قد يحدث في البيض ولكنهُ مع ذلك احسب بلا ريب لانهُ مولودٌ من اسودَين

والاحسب يكون في الغالب ضاوياً نحيف البنية وفي زعم بعض المتقدمين انهُ لا يكون الا احمق ولعلّ من هذا قول امرئ القيس

ايا هندُ لا تنكحي بُوهةً عليهِ عقيقتُهُ أَحسَبا

وفسروا الاحسب في هذا البيت بالذي في شعر رأسهِ شُقرةٌ والاشبه ان المراد بهِ المذكور هنا ويريد بالبوهة الرجل الاحمق كما فسّرهُ صاحب لسان العرب في باب الهآء عن ابي عمرو ولكن الذي عُلم بالاختبار ان هذا الاعتقاد غير صحيح

والحُسبة من الآفات التي تنتقل بالإرث على انها قد لا تظهر الا في اوان المراهقة او ما بعدها وقد يكون ظهورها تدريجياً وقد يكون دُفعياً . ومن المراقبات في ذلك ما ذكرهُ غليوم پيرْد من انهُ رأى في ڤرجينيا سنة ١٦٩٧ غلاماً احسب في سن الحادية عشرة وكانت قد شرعت اعراضها تظهر فيهِ منذ السنة الثالثة . وذكر غيرهُ انهُ رأى سنة ١٧٥٨ امرأةً في سن الاربعين ابتدأ لونها يزول من سن الخامسة والعشرين وحين رآها كان

اكثر بدنها قد صار ابيض صافياً وكان جلدها شفافاً يُرَى ورآءهُ تشعب العروق كما يُرَى في ابضّ النسآء الاوربيات

ومن الغريب ان اطبآء العرب لم يذكروا هذه الآفة بين الآفات الجلدية مع ورود شيءٍ في اللغة يشير الى انها كانت معروفةً عند العرب كما يستفاد من النصوص المتقدمة . بيدانها على كل حال من الآفات التي لا شفآء لها كما صرّح بذلك الاطبآء المحدثون فهي في ذلك كالشيب والصَلَع وما اشبههما من العوارض الناشئة عن استحالةٍ في البنية والله اعلم

المرأة

بقلم حضرة الكاتب نجيب افندي ماضي
(تابع لما في الجزء السابق)

وقد اسلفنا ان الفتاة عند متقدمي اليونان والرومان لم يكن لها حقّ في اختيار الزوج بل كان ذلك من حقوق الوالدين والاوصيآء فلما انتشر الدين المسيحي أُطلق لها حق انتخاب الزوج بشرط موافقة الوالدين او الاوصيآء وصارت قادرة ان تشارك زوجها في تربية اولادها وتنفرد في شؤونها البيتية معتبرةً كعضدٍ للرجل في الحياة الدنيا . وهي على ذلك الى اليوم في جميع الممالك المتمدنة فلا تزال تحت عناية والديها حتى تبلغ الثامنة عشرة او العشرين من العمر وبعد ذلك تُطلَق لها الحرية التامة كالرجل فتختار الزوج الذي تريدهُ لا ينازعها هذا الحقّ احد وبعد زواجها تُعتبَر رئيسة بيتها لها مطلق التصرف في تدبير منزلها وتربية بنيها وتدخل المجتمعات الادبية